المبحث السادس

نظرات حول دور المرأة في الأسرة المسلمة

قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾[1].

وقال عليه الصلاة والسلام : « النساء شقائق الرجال » .

وقال الشاعر (حافظ إبراهيم) :

الأم مدرسة إذا أعددتهـا أعددت شعبا طيب الأعراق

- تمهيد .
- الزوجة العاملة ، وراتب الوظيفة .
- للمرأة دورها العظيم فى ميـــادين العمل ... ولكن ؟ .
- سعادة الدنيا والآخـــــرة .. فى العودة إلى شرائع الإسلام .
- المرأة ظالمة أو مظلومة .
- كيف نخرج الطـــلاق من قاموس المشكلات الاجتماعية ؟
- مظاهر مبتذلة ... وحلول مبتكرة .

---

(١) النساء : ١ .

● تمهيد :

الأسرة هى اللبنة الأولى فى تكوين المجتمعات ، والأسر المستقرة التى يراعى فيها كلا من الزوج والزوجة والأولاد كافة الحقوق والواجبات هى التى تنشأ من خلال تجمعاتها الدول القوية التى لا تقهر .

والأسرة هى الملاذ أو السكـــن الذى يجد فيه كلا من الزوج والزوجـــة سعادتهمـا .. فإن دب الشقاق بينهما فلا معنى للحياة بعد ذلك .

وللمرأة دورها الكبير فى هذه المملكة الصغيرة بما يفوق دور الرجل . فقد سئل الرسول ﷺ :

أى الناس أحق بالفضل ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أبوك .

لكن فى هذا العصر اختل التوازن ، وتفككت معظم الأسر نتيجة البعد عن تعاليم الإسلام .

وصار خروج المرأة إلى ميادين العمل إحدى المشكلات الكبرى التى تحتاج إلى حلول جذرية .

فقد كانت المرأة فى الحياة الريفية تعمل بجانب زوجها وتشاركه فى كل شىء من الصباح حتى المساء دون ثمة حساسيات مادية أو نفسية .

وفى هذا العصر صار الرجل فى وادى وزوجته فى وادٍ آخر وخاصة بين الموظفين والموظفات فى المدن .

وإذا كان عمل المرأة مع زوجها الفلاح لا يمثل مشكلة على الإطلاق ، فإن الأمر يختلف اختلافا جذريا بالنسبة للموظفة العاملة .

ومع هذا الاختلاف العصرى لابد من وضـــع ضوابط إسلامية سنذكرها فيما بعد .

* * *

الزوجة العاملة .. وراتب الوظيفة

قرأت فى جريدة الاتحاد من ملحق الهدى رسالة لسيدة وافدة من إحدى الدول العربية .. تشكو فيها شكوى مريرة متوجهة بسؤال هام وهو : هل الشرع أعطى الحق للرجل أن يأخذ كل مال يخص الزوجة أو جزءاً من مرتبها ؟ وفى الرسالة تقول السيدة الفاضلة أن المشكلة كبيرة وليست هينة وليست مشكلتها وحدها وإنما هى مشكلة معظم سيدات هذا الزمن وهن ساكتات لاحول ولا قوة لهن .

ثم تتوجه بنداء قائلة : هل من كلمة لهؤلاء الأزواج الذين لا يخافون شرع الله ؟ ، وهل من إنصاف لحل مشكلة هؤلاء السيدات المساكين الضعفاء ؟ .

الحقيقة إننى قد تأثرت كثيرا وتألمت لأن هذا الموضوع الخطير لم يعلق عليه أحد من العلماء أو الكتاب ، فالسيدة الفاضلة تحكى قصة من الواقع المؤلم الذى يعيشه المسلمون اليوم وأكثرهم استغلوا الحلال استغلالا سيئا حتى وقعوا فى الحرام مثل الزواج والطلاق وتعدد الزوجات الذى أباحه الإسلام بشروط وضوابط لكن ما يحدث اليوم فى غالب الأمور إنما هو أسلوب أعرج بلا شروط ولا ضوابط مما أساء للإسلام والمسلمين فى نظر الأعداء .

السيدة الفاضلة فى عرض مشكلتها لها الحق فى جانب ، ولكن ليس لها الحق فى جانب آخر ، لها الحق فى أن يكون لها مالها الخاص من مهر أو صداق أو ميراث أو هبة أو وصية .. إلخ ، ولا يقرب الزوج لهذا المال حتى وإن كانت غنية وزوجها فقير .. بل يزيد على ذلك أن الشرع يوجب على الزوج الفقير النفقة على زوجته الغنية .

ولكن ليس لها الحق فى أن تعمل وتحصل على راتب وتكون هناك تضحيات كبيرة فى الأسرة يتحملها الزوج والأولاد من أجل رفع مستوى المعيشة .. ثم فى النهاية تقول إن هذا الراتب هو مالها الخاص .

إن دخل الأسرة يعتمد على جهد الرجل وجهد المرأة فى أن يعملا معا !! وهما معا شريكان فى الحياة من أجل بناء الأسرة وسعادة الأولاد وإلا فلماذا التضحية إذن ؟

إن المرأة العاملة تكلف أكثر فى كل شىء لأن هناك جانبا تعويضيا مقابل التكلفة العالية ، بينما ربة البيت مدبرة والتدبير نصف المعيشة ،حتى ربة البيت نفسها تقوم بأعمال غير منظورة تكاد تصل إلى درجة المرأة العاملة بالفعل .. هذا بخلاف التدبير

المنزلى مثل : حياكة الملابس لأولادها أو أن تكون مدرسة لأولادها ، فلا يحتاجون إلى الدروس الخصوصية .. أو تساعد زوجها فى عمله داخل المنزل وتخفف عن الزوج والأولاد الكثير من المتاعب ، ثم إننا لا ننسى دور المرأة الريفية التى تقف بجانب زوجها فى المنزل وفى الحقل سواء بسواء .

ففى المنزل تقوم بإعداد المحصول من لحظة حصاده حتى يصير لقمة عيش أو سلعة تباع وتشترى .. وهى التى تقوم بإعداد حظائر المواشى وتحلب اللبن وتصنع الجبن وتبيع السمن .

وفى الحقل تساعد زوجها فى بذر البذور وجمع المحصول ، ومع ذلك لم نجد واحدة منهن تقول أين ثمرة عملى ؟

والخلاصة أقول للزوج : ليس لك الحق فى أن تستحوذ على كل راتبها بحجة واهية لا أصل لها .. وإنما لها أن تدخر لنفسها من راتبها بقدر ما يدخر الرجل مع اعتبار أن هناك مصروفات يومية وأخرى موسمية أو طارئة يشترك فيها الطرفان .

وفى تصورى أنه لا يحق للزوج أن يجبر زوجته على أن تعمل خارج البيت على اعتبار أن القاعدة أن تكون المرأة فى بيتها والاستثناء هو أن تخرج للعمل من منطلق حرية العمل دون القهر .

كما أرى من منطلق إسلامى أن هناك ضوابط لخروج المرأة للعمل مثل :

أن تخرج محتشمة - ألا تعمل فى وسط الرجال - ألا يتنافى عملها مع الواجبات الأسرية - أن يكون عملها برضاء زوجها - أن تخرج لضرورة أو مصلحة ومن بين الضرورات وضعها الاجتماعى كأن تكون طبيبة أو مدرسة [1].

* * *

(١) نشر بجريدة الاتحاد (الملحق الدينى) بدولة الإمارات العربية فى ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ١٥ / ٣ / ١٩٨٥ .

للمرأة دورها العظيم فى ميادين العمل .. ولكن !!

فى الماضى القريب لم يكن للمرأة حق التعلم مثل الرجل على اعتبار أن مصيرها المحتوم هو أن تكون ربة بيت ومن ثم فلا جدوى من التعليم .

وكنا نرى ذلك الرجل الذى نال قسطا من التعليم يذهب إلى وظيفته فى الصباح ثم يعود إلى بيته بعد الدوام والزوجة فى انتظاره لتخلع عنه ثيابه وحذاءه .. وفى المساء يذهب الزوج المحترم إلى قهوة النشاط حيث السمر إلى وقت متأخر من الليل مع أقرانه ، ثم يعود ليجد زوجته على سهر فى انتظاره والأولاد ما بين نائم ومستيقظ .. ويسمع من زوجته قصة كل ليلة : ماذا حدث للأولاد ؟ وماذا صنعت مع الجيران .

مرة يضحك وهو يسمع ما يسره ، ثم فجأة يغضب ويثور حين يسمع ما يكره والزوجة فى كل الأحوال صابرة ومستسلمة لإرضاء زوجها .

وتمر الأيام وتخرج المرأة من ليلها الطويل لترى النور : نور العلم والحياة تشق طريقها فى التعليم مثل الرجل سواء بسواء .

ولكن للأسف نجد أن بعضهن قد جرفهن تيار تقليد المرأة الغربية فى كل شىء، مجرد تقليد أعمى دون تبصر ولا تدبر .. والمقلدة رغم تركها لأصالتها الإسلامية فهى أيضا لن تصل إلى طبيعة المرأة الغربية .

ولذلك أصبحت المرأة المسلمة المتعلمة فى حالة من البلبلة الفكرية أو الحضارية .

ومن النتائج السلبية : أنها خلعت الحجاب ، واختلطت فى عملها مع الرجال وتعلمت « الإتيكيت » الغربى بلا حياء ويالیتها بعد ذلك قد أراحت واستراحت .. لكن ما حدث لم يكن فى الحسبان .

لقد تحملت من الأعمال ما لا يطاق .. فهى كونها تعمل مثل الرجل لا ترتاح مثل الرجل حين تعود إلى بيتها .. بل تستأنف أعمالا أخرى من رعاية للأولاد وطهى للطعام وغسيل الملابس وترتيب ونظافة البيت .. الخ .

وهى بذلك لا تجد راحتها مطلقا إلا مع النوم .. حتى الإجازة الأسبوعية لا تجد فيها راحتها .. بل هو يوم عمل شاق لأسبوع بأكمله .. وتركت هذا الأثر السيىء على الزوج والأولاد لكونها متعبة ومرهقة .

ولكن ياترى هل هناك حل بعد أن انتقلت المرأة المسلمة من النقيض إلى النقيض أو من التفريط إلى الإفراط ·

بالتأكيد هناك حل يمثل جانب الاعتدال ·· فما هو إذن ؟

الحل ليس جديدا وإنما هو من الإسلام ·· فليس هناك نظام على وجه الأرض عبر الزمان والمكان أعطى أو سيعطى للمرأة مكانتها وعزتها وكرامتها بأكثر مما جاء فى القرآن والسنة النبوية وآثار الصحابة ·

هنا الأمر يحتاج إلى مجرد اجتهاد عصرى حتى نعود إلى أصالتنا بأحدث الأساليب العلمية ·

وحين تعمل المرأة فى الميادين المختلفة فإن هناك شروطا أساسية لا ينبغى بأى حال التحول عنها وهى :

- أن تلتزم المرأة بشروط الحجاب الثمانية ·
- عدم اختلاط الرجال بالنساء ·
- أن تكون هناك ضرورة لخروجها سواء من جانب الأسرة التى هى فى حاجة إلى دخلها أو من جانب المجتمع الذى يحتاج لتخصصها ·

كما أرى أن يكون خروج المرأة لميدان العمل بضوابط ، أذكر منها :

(أ) ألا يكون هناك أطفال صغار فى حاجة إلى رعايتها ·

(ب) أن تعمل نصف الوقت وفى مكان قريب من بيتها ·

(جـ) أن يكون عملها متوافقا مع طبيعة المرأة وفى مجال الخدمات الإنسانية بحيث يكون عملا مكملا لعمل الرجل دون منافسة ·

ويمكن للمرأة أن تعمل داخل بيتها عن طريق الاتفاق مع أجهزة الأسر المنتجة ·· بل أرى ما هو أكثر من ذلك وهو المرأة المتعلمة فى حد ذاتها منتجة وهى بذلك تمثل قمة الحضارة والتقدم ·

فالمرأة المتعلمة تكون عونا لزوجها فى شئون عمله ·· وتكون مدرسة ومربية لأولادها ·· وتكون مدبرة لميزانية بيتها ·

وفى سبيل ذلك أرى أن تحصل المرأة المتعلمة وهى فى بيتها على نصف راتب المرأة العاملة خارج بيتها بحسب مؤهلاتها العلمية من قبل الدولة ·

ربما يتصور البعض أن ذلك عبء على الدولة ليس من ورائه نفع .. لكن العكس هو الصحيح .

إن الدولة بذلك الأجر الرمزى تكون قد شجعت المرأة وهى نصف المجتمع على طرق أبواب التعليم .. حيث إن الأسرة هى اللبنة الأولى للمجتمع .. وفى هذا رقى للمجتمع الإسلامى إلى مكانة عالية لن ترقى إليها شعوب العالم المتقدم فى عصرنا هذا .

هذه ثلاثة تصورات للمرأة المسلمة فى الماضى والحاضر والمستقبل :

ففى الماضى القريب كانت على جهل أو أمية .

وفى الحاضر فهى مقلدة لنساء الغرب دون تبصر ولا تدبر .

وفى المستقبل فهى المرأة المؤمنة التى تدرس علم الدين بالضرورة وعلوم الحياة على قدر الكفاية .. فطلب العلم فريضـــة على كل مســلم ومسلمة كما قال النبى ﷺ (١).

* * *

سعادة الدنيا والآخرة ..
فى العودة إلى شرائع الإسلام

قبل الإسلام لم يكن للعرب شأن يذكر بين دول العالم المتحضر ومن بينها دولتا الفرس والروم .

وحين جاء الإسلام صار العرب المسلمون قوة لا يستهان بها ، وانطلقوا باسم الإسلام من الجزيرة العربية إلى ربوع العالم وصارت الإمبراطوريات المتحضرة أقاليم تحت مظلة الخلافة الإسلامية .

فى ظل الخلافة الإسلامية لم تكن هناك من المشكلات المستعصية مثل التى نعانى منها اليوم .

---

(١) نشر بجريدة الاتحاد بدولة الإمارات العربية فى (١٨ / ١٢ / ١٩٩١) .

كانت كل هموم المسلمين تنحصر فى الجهاد ونشر الدعوة والعروج إلى الله بالفرائض والتزود بالسنن والنوافل مع السعى فى طلب الرزق دون كلل ولا ملل ·

كان الولد أو البنت إذا وصلا سن البلوغ ·· فهذا إيذان بالزواج على سنة الله ورسوله دون تأخير وبأقل التكاليف المتاحة ·

وكانت المرأة حين تعلم أنها لا تنجب أو أنها مريضة مرضا عضالاً أو أن زوجها من الأثرياء ، لا تمانع أن يقترن زوجها بالزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة ·· وذلك دون خوف على مستقبلها لأن زوجها سوف يعدل ·

وإذا حدث طلاق بين زوجين مؤمنين لعدم التوافق بينهما فإن كلا منهما يشق طريقه للزواج المناسب بلا حرج ولا مشاكل ·

وإذا مات أحد الزوجين فإن الأرمل أو الأرملة سرعان ما يجد أو تجد زوجا لاستكمال مسيرة الحياة ·

وحين ابتعد المسلمون عن إسلامهم ماذا حدث ؟

تركوا الجهاد ونشر الدعوة والحكم بما أنزل الله وفضلوا استخدام القوانين الوضعية التى جاء بها الاستعمار ·· وتكاسلوا أيضا فى أمور الدنيا وتأخروا وتقدم غيرهم ونتيجة لذلك نشأت المشكلات المستعصية التى لم يكن لها وجود من قبل هذه المشكلات منشأها حب المظاهر ، والميل للتقليد دون الإبداع ، والخضوع للعادات دون استخدام العقل ، والتفنن فى جمع المال دون جهد مثمر ·

من يصدق ·· أن هناك فى بلاد المسلمين ملايين من الشباب لم تتوافر لديهم القدرة على الزواج ·· ففى مصر مثلا لا يستطيع الشاب الذى تخرج من الجامعة الزواج إلا بعد مرور عشر سنوات من تخرجه حتى يستطيع أن يهيىء نفسه لذلك ·· ورغم ذلك فهو يحتاج إلى مساعدة الأهل لمواجهة تكاليف المهر والشبكة والشقة وبعض لوازم التأثيث وحفل الزواج ·

وهنا فى الإمارات لى أصدقاء غير قادرين على الزواج إلا بعد رحلة طويلة من العمر رغم أنهم ميسورو الحال ·· وتعجبت لماذا ؟ قالوا إن الزواج يتطلب مئات الألوف من الدراهم ·

هنا أدركت تماما أهمية مكرمة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بإنشاء صندوق الزواج ، ومكرمة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمى فى تشجيع حفلات الزواج الجماعى .

وبالطبع فإن مشروعى حفلات الزواج الجماعية وصندوق الزواج سوف يحلان الكثير من مشكلات الزواج .. لكن هذا الجهد المشكور لابد وأن يتبعه جهود واسعة النطاق من قبل المجتمعات الإسلامية والأسر عامة .. فالزواج كما يقول الشيخ محمد الغزالى لا يقل أهمية عن الغذاء والكساء سواء بالنسبة للبكر أو الأرملة أو المطلقة .

وليس معنى تشجيع الزواج هو أن يتم بالصورة المزعجة التى نحياها فى هذا العصر .. ولكن لابد أن نرجع إلى أصالتنا الإسلامية حتى يكون الزواج صحيحا على سنة الله ورسوله .

فالرسول ﷺ يحذرنا من المغالاة فى المهور أو الخروج عن كل ما هو ضرورى بالترف أو السرف .. كما يرسم لنا الطريق فى اختيار الزوج أو الزوجة حتى لا يكون الزواج تعيسا .

قال بالنسبة للزوج: « إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه » .

وقال بالنسبة للزوجة : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

فالزوج أو الزوجة المتدينان هما فقط اللذان يراعيان الحقوق والواجبات الزوجية .

وبالنسبة للأرمل أو الأرملة فإنه يجب أن تمتد إليهما عناية الدولة والمجتمع بتزويجهما .. وإن كانا يرعيان أطفالا فإن زواجهما يكون أكثر إلحاحا لرعاية الأبناء والأيتام .. ولقد كان الصحابة يتنافسون فى الزواج من الأرامل ورعاية الأيتام والأبناء لما فيه من ثواب عظيم .

وهذه هى الصحابية الجليلة أسماء بنت عميس رضي الله عنها التى كانت زوجة لجعفر بن أبى طالب وبعد استشهاده فى غزوة مؤتة صارت زوجة لأبى بكر الصديق وبعد وفاته صارت زوجة لعلى بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين .

فى شأن الأرمل أو الأرملة قال الرسول ﷺ :

مسكينة .. مسكينة .. مسكينة .. قيل من هى يا رسول الله ؟

قال : من مات عنها زوجها ولم تتزوج .

مسكين .. مسكين .. مسكين .. قيل من هو يا رسول الله ؟

قال : من ماتت عنه زوجه ولم يتزوج .

وأما عن المطلقة فإنه قد وردت عشرات الآيات فى سورتى البقرة والطلاق، نظرا لأهمية هذا الجانب فى حياة الأسر المسلمة حيث الهدف الأسمى هو :

المعاشرة بالمعروف أو الفراق بالمعروف وبإحسان ... ويحذرنا القرآن بأن التعدى من أى مسلم ربما أدى به إلى جهنم وبئس المصير فلا يذر زوجته كالمعلقة أو يقهرها حتى تطلب منه الطلاق للحصول على حقوقها .

وكذلك الأمر بالنسبة للزوجة فقد جعل الله طاعتها لزوجها كالجهاد فى سبيل الله ، والمرأة فى الإسلام لها حريتها الكاملة فلا قهر ولا ظلم وهى إن كرهت معاشرة زوجها فلها حق الخلع عنه بشروطه .

والطلاق فى الإسلام ليس نهاية الدنيا بل هو بداية جديدة لزواج سعيد .

نعم إن فى شرائع الإسلام سعادة الدنيا والآخرة .. عودة الروح للمسلمين والرقى نحو المجتمع المثالى .. مجتمع الأسر السعيدة [1].

* * *

المرأة ظالمة أم مظلومة ؟!

منذ أن خرجت المرأة من بيتها ، لتشارك الرجل فى كافة الأعمال دون استثناء ودون تخصص بما يلائم طبيعتها وبلا تحفظ .. وهى تنادى بأعلى صوتها بحتمية المساواة بين الرجل والمرأة .

وبين الحين والآخر تعقد مؤتمرات وندوات لتأصيل هذا الاتجاه حتى استجاب الكثير من الحكومات لهذا النداء .

(١) نشر بجريدة الاتحاد بدولة الإمارات العربية فى (٢٤ رمضان سنة ١٤١٢ هـ) الموافق (٢٧ / ٣ / ١٩٩٢) .

ونظرا لاختلاف مقومات الرجل عن المرأة فى الكثير من الحالات فإن هذا الاتجاه قد انقلب عكسيا على النساء مما دعا بعض الجمعيات النسائية بأمريكا وفرنسا إلى القيام بمظاهرات لإنصاف المرأة من العمل اليومى الشاق الذى تقوم به .

ونادت بعضهن بضرورة العودة للبيت للقيام بدور الأمومة ورعاية الأبناء وترتيب البيت .. وقالت إحداهن بأن الرجال خدعونا بدعوة المساواة وفتحوا لنا الباب على مصراعيه .. فصارت المرأة العاملة تبذل من الجهد ضعف ما يبذله الرجل .. لأن الرجل يرتاح من عناء العمل بعد عودته لمنزله ، بينما تستأنف المرأة العاملة عمل البيت من طهى ورعاية للأطفـــال وترتيب للبيت ولا تجد راحتها تقريبا إلا عند نومهـــا !!

ورغم أن الجمعيات النسائية فى البلاد الغربية تدعو الآن لإحداث التوازن بين الرجل والمرأة بتخفيض ساعات العمل اليومى للنساء مع إعطائهن الفرصة للعودة إلى البيت .. والرجال هناك - بالنظرة المادية المجردة من الرحمة - لا يستجيبون لهذا النداء .. رغم ذلك فإننا نجد أن الجمعيات النسائية فى البـــلاد الشرقية ما زالت تحذوا حذو ما سبقت إليه البلاد الغربية .

ويزيد على ذلك أن هناك من أعضاء هذه الجمعيات من ينادى بخلع الحجاب ومخالطة الرجال وإلزام الرجل بعمل البيت أو دفع رواتب لهن .

والحقيقة أن هذه الصيحات لم تأت من فراغ .. لكنها رد فعل للظلم الواقع على النساء فى ظل نظم وضعية فاسدة .

وبدلا من أن تنادى المرأة بالعودة إلى تعاليم الإسلام ، للحفاظ على مكانتها الرائعة التى لم ترق إليها إمرأة فى ظل نظام غير إسلامى .. نجدها ترفض تعاليم الإسلام وتنادى بالحرية الغربية بكل مساوئها !

ولقد أثلج صدرى خبر عن تكوين جمعية نسائية إسلامية تنادى بحجاب المرأة وعودتها للتعاليم الإسلامية والدعوة إلى صون المرأة والحفاظ على عزتها وكرامتها ضد التيارات التى أفسدت المرأة وجعلتها سلعة رخيصة بأدوات التجميل والعرى لتكون تحت رحمة شهوات ومآرب ضعاف النفوس .

الحقيقة أننا نعيش الآن العصر الذى تكون فيه المرأة إما ظالمة وإما مظلومة .

فهى ظالمة حين تكون متعلمة أو مثقفة بالمنهج الغربى متجاهلة تماما التعاليم الإسلامية .. ظالمة لنفسها أولا ثم لأولادها وزوجها .

وهى مظلومة حين تكون جاهلة أو غير متعلمة لأنها لم تصنع شيئا ينفعها ولم تتفقه فى أمور دينها فصارت لا تعرف من أمور دنياها وأخراها شيئا جوهريا وتكون مثل الجارية تؤمر فتطيع بلا مشورة لأنها لا تملك قوة الرأى .

نعم . إن من حق المرأة أن تعمل .. بل إنى أقول إن من واجبها أن تعمل على قدر فرض الكفاية بما يتوازن مع عمل البيت ، فلا تستغرق وقتا طويلا أو جهداً كبيراً يجعلها فاشلة فى حياتها الزوجية .. وبما يتلاءم مع أنوثتها فلا تختلط بالرجال بل تعمل مثلا فى مدرسة للبنات بنصف الوقت الذى يستغرقه الرجال ، أو طبيبة فى مستشفيات خاصة للنساء والأطفال .. وتتعلم فى مدارس وكليات خاصة للبنات .. كما تمارس أعمالا جماهيرية أو خدمية خاصة بالنساء ، مثل ما نشاهده فى بعض البنوك الإسلامية حيث يوجد قسم خاص للسيدات .. وما نشاهده فى معهد الشرطة من وجود مدربات لقيادة السيارات لتدريب من يرغبن من النساء[1] .

* * *

كيف نخرج الطلاق من قاموس المشكلات الاجتماعية ؟

قرأت بجريدة الاتحاد موضوع « علاج ناجح لتجنب الطلاق » :

- الاعتراف بالخطأ أو الاعتذار من أحد الزوجين أو كلاهما .
- عدم إفشاء الأسرار أو المشاكل التى تحدث بين الزوجين .
- الاحتكام أو الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله دون صراع مع الأهواء .
- التفاهم بين الزوجين بالحوار الهادىء لحل مشكلاتهما بأنفسهما .

---

(١) نشر بجريدة الاتحاد (الملحق الدينى) بدولة الإمارات العربية فى ١٤ شوال سنة ١٤٠٦ هـ الموافق ٢٠ / ٦ / ١٩٨٦ .

وفى هذا الحيز أتناول زاوية أخرى غاية فى الأهمية لإيجاد حل جذرى لهذه المشكلة .. هذا الحل نجده واضحا فى القرآن الكريم فى سورة الطلاق وبعض آيات من سورة البقرة « آية ٢٢٧ إلى آية ٢٤١ » .

لكن الواقع الفاسد فى دنيا المسلمين هو الذى خلق المشكلة التى أصبحت عرفا بين الناس دون تفكير فى اختيار المعيار الإسلامى .

يبدأ الحل من تاريخ الزواج بأن يختار الزوج شريكة حياته من ذات الدين والخلق دون النظر إلى المال أو الجمال أو الحسب كهدف دنيوى بعيد عن الخلق والدين .

وكذلك بالنسبة للزوجة التى عليها أن تختار من ترضى دينه وخلقه ، وإذا كانت معظم حالات الزواج فى هذا العصر قد حدثت دون النظر إلى الدين والخلق كهدف أسمى فإن باب التوبة مفتوح لإصلاح ما فسد .

نعود إلى أصل الموضوع وهو أن الطلاق قد يقع فعلا نتيجة أسباب مختلفة من الزوج أو الزوجة أو المجتمع .. فما هى النتيجة ؟

● **النتيجة من الناحية الشرعية :**

لا توجد مشكلة حتى الآن ، لأن الزوجة لن تخرج من البيت طوال فترة العدة رغم وقوع الطلاق .. فهى ما زالت زوجة ولا يحق لأحد أن يتقدم إليها للزواج .. ومجرد ابتسامة منها ومن الزوج أو أو الخ .. تعود الحياة الزوجية من جديد دون أن يشعر أحد .. حتى الأهل والمقربون .

● **أما من ناحية الواقع الفاسد أو المؤلم :**

فإن الطلاق يعد مصيبة كبرى كالموت أو الهلاك أو أشد من ذلك .. حيث النتيجة بعد خروج الزوجة بغير حق خراب البيوت وتشريد الأولاد ووقـوع الزوجة أو الزوج فى متاهات لا نهاية لها .

وهنا أتوجه باقتراحات هامة جدا إلى ثلاث جهات مسئولة كما يلى :

(**أولا**) بالنسبة لوزارة الشئون الاجتماعية فإن عليها أن تصدر قانونا من واقع الشريعة الإسلامية بتجريم أو عدم جواز إخراج الزوجة المطلقة من بيت الزوجية طوال فترة العدة « ثلاثة شهور » .. ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

(ثانيا) بالنسبة لعلماء الدين فإن عليهم أن يبينوا للناس أحكام الطلاق من واقع الكتاب والسنة بوضوح ويسر ، فقد لاحظت من خلال مناقشاتى مع الكثيرين من ذوى الفهم والعلم أنهم لا يدركون أحكام الطلاق ، وحين ذكرت لهم أن المطلقة لا تخرج من بيتها أصابهم الذهول رغم أن الآية رقم(١) من سورة الطلاق تبين ذلك واضحا فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ، وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ، وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ، لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ ﴾[1] صدق الله العظيم .

(ثالثا) بالنسبة للزوج أو الزوجة أو الأهل .. عليهم أن يتقوا الله بجعل الطلاق طلاقا شرعيا وبشهادة ذوى عدل .. وليس طلاقا بدعيا أو غيابيا تحكمه الأهواء أو المآرب [2] .

* * *

مظاهر مبتذلة .. وحلول مبتكرة

بحمد الله مع الصحوة الإسلامية صارت هناك فى دنيا المسلمين بدائل شرعية للفساد المستشرى بسبب الاستعمار والذى حال بين المسلمين وإسلامهم عدة قرون .

ورغم أن العالم الإسلامى قد نال استقلاله وصار حرا من الناحية الشكلية .. إلا أنه ما زال محاصرا بالتكتلات العسكرية والسياسية والاقتصادية فى الشرق والغرب بسبب الفرقة والتفكك بين دويلات العالم الإسلامى .

والأدهى والأمر من ذلك أن العالم الإسلامى محاصر أيضا بشكل لا إرادى بسبب الغزو الفكرى الذى أصبح مسيطرا على عقول وقلوب المسلمين فصاروا مقلدين لجميع أنواع الفساد المستورد من الخارج .

فمثلا بالنسبة للأعراس صارت الموضة أن يكون حفل الزواج فى الفنادق ذات النجوم الخمسة .

---

(١) الطلاق : (١) .

(٢) نشر بجريدة الاتحاد بدولة الإمارات العربيـــة (١ ربيع ثانى سنة ١٤١٢ هـ (الموافق ١٧ / ٩ / ١٩٩٣) .

ماذا جرى حتى نرى فى بلاد المسلمين أفراحا كلها عبث ولهو ؟ .. هل التفاخر وحب المظاهر قد أديا بنا إلى الاستدانة من أجل حفل تعس ؟ .

أقول إنه تعس بعد مناقشتى للكثيرين ممن وقعوا فى حبائل تلك العادات والتقاليد المستوردة .

قال البعض إنهم استدانوا من البنوك بفوائد مركبة لبضع سنين لتغطية تكاليف الزواج من مهر وشبكة وإقامة الحفل فى الفندق .

وقال آخرون إنهم اضطروا للزواج من أجنبيات ودون علم الأهل والأصدقاء للهروب من التكاليف الباهظة التى لا تطاق .

لكل ذلك فكر أهل الصلاح والتقوى فى إيجاد بدائل شرعية تبعد شبابنا عن الحرام وعن التكاليف الترفية الباهظة .

مثال ذلك : حفل الزواج الجماعى لشباب الشارقة تحت رعاية صاحب السمو الدكتور الشيخ سلطان بن محمد القاسمى ، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة بين الحين والآخر .

ولى هنا إضافة يجب أن تتم فى الأعراس الإسلامية فى عصرنا الحاضر وهى :

(**أولا**) أن يساهم الأهل والأصدقاء وكذلك جهات العمل فى توفير الحد الأدنى لإقامة الحياة الأسرية الكريمة للعروسين دون الاستدانة فى بداية حياتهما .

(**ثانيا**) أن يكون هناك صندوق خيرى مؤقت فى ليلة حفل الزواج تساهم فيه الحكومات المحلية .

(**ثالثا**) أن تكون هناك فرق فنية تابعة للجمعيات الخيرية تؤدى دورها الإبداعى لإحياء تلك الأفراح مقابل رسوم رمزية ، وهنا يكون الفن فى خدمة الإصلاح بدلا من أن يكون عكس ذلك [1] .

* * *

(١) نشر بجريدة الاتحاد بدولة الإمارات العربية فى ١٧ شـــعبان سنة ١٤١٣ هـ الموافق ٩ / ٢ / ١٩٩٣ م .